طرق الاستدلال عند المتكلمين: أبو حامد الغزالي نموذجا

The Methods of reasoning among the speakers: Abu Hamid al-Ghazali as an example

Hassane Zouhri حسن زوهري

طالب باحث بالدراسات الإسلامية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة محمد الأول بوجدة، المغرب

hassanzouhri140@gmail.com

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على الأسلوب العقلي الذي اعتمد عليه أبي حامد الغزالي في الاستدلال على وجود الله، من خلال تتبع واستقراء بعض مؤلفاته العلمية. كمعيار العلم، ومحك النظر، وميزان العمل، وتعتمد هذه الورقة البحثية على منهج دراسة الحالة الذي من خلاله نحرص إلى تجميع كل المراجع والمصادر العلمية التي تقربنا من منهجه العملي في عرض الأدلة ومناقشتها، ولاسيما في باب الالهيات. كما تم الاعتماد على المنهج الوصفي في عرض طريقته في الاستدلال. وعليه فإن هذه الدراسة انطلقت من سؤال محوري وهو بما تتميز طريقة أبي حامد الغزالي في الاستدلال على وجود الله تعالى؟ وماهي اهم طرق الاستدلال المعتمدة في منهج الامام؟

وبعد مراجعتنا منهجه من خلال الاطلاع على طرائقه في الاستدلال. خلصنا إلى أن منهجه ينصب على تقريب منهج الاستدلال المنطقي، والفلسفي، من الاستدلال الشرعي. فيريد أن يصبغ هذه القواعد المنطقية والعقلية بصبغة شرعية. ولهذا تجده يستدل لها من القرءان الكريم لتعزيزها وتعضيدها كما أن طرقه في الاستدلال لم تكن ذات اتجاه عقلاني واحد، وإنما عرض هذه الطرق من مناحي واتجاهات متعددة. لأن ما يعجز العقل عن معرفته يشهد له الشرع بنقله.

الكلمات المفاتيح: الاستدلال، المنهج، الفلسفي، المنطقية، العقلية.

Summary:

This study aims to shed light on the intellectual approach adopted by Abu Hamed al-Ghazali in proving the existence of God, by examining and analysing some of his scholarly works. As the standard of knowledge, the test of reasoning, and the measure of action, this research paper relies on The case study method, through which we seek to compile all the references and scholarly sources that bring us closer to his practical approach in presenting and discussing evidence, particularly in the field of theology. We also relied on the descriptive method in presenting.

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

His method of reasoning. Accordingly, this study began with a central question: What distinguishes Abu Hamid al-Ghazali's method of reasoning regarding the existence of God Almighty? And what are the most important methods of reasoning adopted in the Imam's approach?

After reviewing his methodology by examining his methods of reasoning, we concluded that his approach focuses on reconciling logical and philosophical reasoning with Islamic legal reasoning. He seeks to imbue these logical and rational principles with a religious character. For this reason, he draws evidence from the Holy Qur'an to reinforce and support them. Furthermore, his methods of reasoning did not follow a single rational approach; rather, he presented these methods from multiple perspectives and directions. This is because what the mind is unable to comprehend is attested to by religious law through revelation.

Keywords: Reasoning, Methodology, Philosophy, Logic, Rationality.

مقدمة:

إن الإمام أبي حامد الغزالي الذي حاز من الفنون والعلوم ما يشفي الغليل، ويروي العليل، ذو الحكمة الوقادة والقريحة النقادة. وهذا ما نلاحظه من خلال مؤلفاته العلمية المختلفة الأبعاد: التربوية منها والأصولية والفلسفية والمنطقية. ويعد الإمام الغزالي أحد الأعلام الذين وقفوا جاهدين في نصب الدلائل والحجج والبراهين، التي يرد بها شبهات الزائغين عن منهج الاشعري السني من الفرق الكلامية المختلفة والاتجاهات الفكرية المتعددة كالفكر الفلسفي، والباطني.

ومن القضايا التي شغلت الإمام الغزالي وظل زمنا طويلا وهو ينصب مختلف الحجج والأدلة للوصول إلى حقيقة وجود الله تعالى والتي ناقشها تأصيلا وتعليلا وتأويلا لنصوصها المحتملة. ولا شك أن قضية وجود الله من أهم القضايا على الإطلاق التي اشتد النزاع فيها حول المتكلمين والفلاسفة المسلمين. والغلاة من الفرق المجسمة كالباطنة، والدهرية، الغالين. وما يزال هذا الخلاف قائما حتى الان حول صفات الله تعالى وأسمائه، وأحواله وهذه القضية هي التي جعلت من الناس يفترقون إلى فرق شتى بناء على أسس معرفية وضوابط منهجية ينطلقون منها.

ويعد هذا البحث من الأبحاث التي تركز على طريقة الإمام الغزالي في الاستدلال. ومن المعلوم لم يكن هذا البحث ضمن الذين حازوا السبق في الحديث عن اليات الاستدلال الكلامي العقلية وتأصيلها القرآني عند الإمام الغزالي لعبد الحميد مومن. ونظرية المعرفة والتي يعرضها فيها الباحث مصادر الاستدلال عند الغزالي.

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

المبحث الأول: الاتجاه النقلي في الاستدلال على وجود الله

في هذا المبحث أريد أن أركز على أهم الدلائل الشرعية التي تصبها الإمام الغزالي في الاستدلال على وجود الله، واليك أهمها:

المطلب الأول: دليل النبوة

وهذا دليل ما ليس للعقل فيه نصيب وفي هذا يقول الغزالي في المنقذ من الضلال: إن معرفة النبي كونه نبيا ليس من المعجزات التي ظهرت على يديه من قلب العصا ثعبانا وشق القمر فان ذلك إذا نظرت اليه وحده ولم تنضم إليه القرائن الكثيرة ربما ظننت أنه سحر وتخييل.[1]

ويؤكد هذا المعنى الغزالي بقوله: وكما أن أدوية البدن تؤثر في كسب الصحة بخاصية فيها لا يدركها العقلاء ببضاعة العقل بل يجب فيها تقليد الأطباء الذين أخذوها عن الأنبياء الذين اطلعوا بخاصية النبوة على خواص الأشياء، فكذلك بان لي على الضرورة أن أدوية العبادات بحدودها ومقاديرها المحدودة المقدرة من جهة النبوة من جهة الأنبياء لا يدركها إلا وجه تأثيرها بعقل العقلاء، بل يجب فيها تقليد الأنبياء الذين أخذوا عن الخواص، بنور النبوة لا ببضاعة العقل...حتى إن السجود ضعف الركوع، وصلاة الصبح نصف صلاة العصر في المقدار، ولا يخلو سر من الأسرار هو من قبيل الخواص التي لا يطلع عليها إلا بنور النبوة.[2]، وهذا النص يوضح بشكل جلي أن السمعيات هي الطريق الوحيد إلى معرفة ما خفي عن الأنظار من علم الأسرار، وذلك لعدم قدرة العقل على استقالاته بهذه المرتبة من المعرفة.

المطلب الثاني: دليل الاتقان والاحكام

هو الاستدلال على ضرورة معرفة وجود الله تعالى، وذلك من خلال النظر في خلق الله لما فيه من مشاهد الاتقان في الخلق والتي تحار فيها العقول لما فيها من الحقائق المذهلة والدقائق المبهرة. وهذا الدليل اليقيني الذي يستدل بها المتكلمون في معرفتهم بوجود الله ومقدماته ضرورية وهي العلم بالحدوث، هو الاستدلال بالدليل النقلي المباشر الذي مصدره الحق سبحانه، وإن إثبات وجود الله مبني على صدق مقدماته ومطابقتها للواقع، وصدق هذا الدليل مبني على معرفة وجود الله من خلال التأمل والنظر في مخلوقاته، وقد ألف الغزالي كتابا الحكمة في مخلوقاته يراد به بيان طريقة النظر في مخلوقاته والتفكر في عجائب مصنوعاته

[1] – المنقذ من الضلال للغزالي تحقيق محمد أبو ليلة وعبد الرحيم رفعت نشر جمعية البحث في القيم والفلسفة القاهرة سنة 1999م ص 280

[2] – نفس المرجع السابق

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

وفهم الحكمة في أنواع مبتدعاته كان هو السبب لرسوخ اليقين. ويلفت بصائنا للنظر في ملكوت الله مستدلا بقوله عز وجل: ﴿**قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ **سورة يونس الآية 101، وقوله:** ﴿**وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يومنون**﴾ **سورة الأنبياء الآية 30.**

وغير أن هذه الآيات البينات، التي يفهما كل ذي عقل سليم، والترقي في اختلاف معانيها يعظم المعرفة بالله سبحانه هو الطريق إلى معرفة الله سبحانه والتعظيم له وذكر بعدها بعض التفاصيل على ذلك فقال: وبحسب ما تنبهت له عقولنا فيما أشرنا إليه، أنه لو اجتمع جميع الخلائق على أن يذكروا جميع ما خلق الله سبحانه وما عرض من الحكم في مخلوق واحد لعجزوا عن ذلك.[3]

ثم جعل يذكر لنا بعض المظاهر الكونية. فقال: إذا ما تأملت هذا العالم بفكرك وجدته كالبيت المبني، فالسماء مرفوعة كالسقف والأرض ممدودة كالبساط، والنجوم منصوبة كالمصابيح والجواهر مخزونة كالذخائر. هذه دلائل واضحة تدل على فاعلها وصنعته محكمة صمدية تدل على سعة علم بارئها.[4]

الحاصل من ذلك أن الطريقة التي يتبعها الغزالي في الاستدلال على وجود الله بالنظام الحاصل للعالم تتألف من الخطوات التالية.[5]

الخطوة الأولى: استقراء الموجودات بحسب الوسع وملاحظة وظائفها وتناسبها مع البيئة والأعمال التي تؤديها والغايات التي جعلت لها.

الخطوة الثانية: التنبيه أن هذا التناسب الحاصل الذي لا يمكن أن يقع صدفة أو بمجرد الطبيعة والقوى العمياء لأنها مختلفة الوظائف والغايات مع اتحاد معظمها في أصل الجسمانية.

الخطوة الثالثة: مادامت المقدمة الأولى والثانية قد ثبتت، فينتج منهما أن هذه الأفعال المتقنة وأنه قاصد لهذه الأفعال عالم بها وهو الإله.

وهذا الدليل لا يمكن أن يستغنى به لوحده دون الاعتماد على الدلائل الأخرى في اثبات وجود الله جل في علاه.

---

[3] – حكمة مخلوقات الله للغزالي ص 14

[4] – حكمة في مخلوقات الله للغزالي ص 15

[5] – الأدلة العقلية على وجود الله لسعيد فودة ص 329 330

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

المطلب الثالث: دليل الامارات والقرائن

وما الألفاظ التي أطلقها رسول الله في ذات الله أو صفاته، وما ذكر لفظة منها إلا مع قرائن وإشارات ورموز تزيل عنها إيهام التشبيه، أدركها الحاضرون المشاهدون، فإذا نقلت الألفاظ مجردة عن تلك القرائن، ظهر الإبهام، وأعظم القرائن في زوال الإيهام: المعرفة السابقة بتقديس الله تعالى عن قبول هذه الظواهر، ومن سبقت معرفته بذلك كانت تلك المعرفة ذخيرة له، راسخة في نفسه مقارنة لكل ما يسمع فيمحق بها الإبهام انمحاقا لا يشك فيه.[6]

ويوضح هذا الأمر الغزالي على ذلك قائلا: إنه صلى الله عليه وسلم سمى الكعبة بيت الله تعالى، إلى إطلاق هذا اللفظ الموهم المخيل إلى السامع أن الكعبة مسكنه ووطنه لبادروا بأجمعهم وقالوا :إنما يوهم هذا في حق الصبيان والحمقى، وأما من تكرر على سمعه أن الله مستقر على العرش فلا يشك عند سماع هذا اللفظ أنه ليس المراد به أن البيت مسكنه ومأواه، بل يعلم على البديهة أن المراد بهذه الإضافة نوع من التشريف، أو معنى اخر سوى ما وضع له لفظ البيت المضاف إلى ربه وساكنه، أليس كان اعتقاده أنه على العرش قرينة أفادته علما قطعيا بأنه ما أريد بكون الكعبة بيته أنه مأواه.[7]

وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم خاطب جماعة بهذه الألفاظ سبقوا إلى علم التقديس ونفي التشبيه. وأنه متنزه عن الجسمية وعوارضها، فكان ذلك قرينة قطعية مزيلة للإيهام لا يبقى معها شك وأن جاز لبعضهم تردد في تأويله وتعيين المراد به جملة ما تحتمله الألفاظ ويليق بجلال الله تعالى.[8]

المطلب الرابع: دليل التوارد أو التمانع

وهذا النوع يعتبر من الاستدلال غير المباشر في الأقيسة المنطقية. وقد سلك القرءان هذا النوع من الاستدلالات في إثبات وحدانية الله تعالى لقوله عز وجل: ﴿**مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾ المومنون 91، وقوله تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾ سورة الأنبياء الآية 22.

[6] الجام العوام عن علم الكلام للغزالي ص 122 123
[7] نفس المرجع السابق ص 124
[8] نفس المرجع السابق ص 124

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

إذا تعدد الالهة ذاتا انفصالا واتصالا، فعلى الكم المنفصل ان تكون ذوات أخرى شريكة أخرى للباري تعالى في الألوهية أم تكون ذات الإله مركبة من أجزاء وكل جزء يتصف بصفة الألوهية يتحدى فيها ببرهان التمانع والتطارد في فرض اختلافهما، وبرهان التوارد في فرض اتفاقهما.

فعلى الثاني إما أن يحصل بإرادتهما معا، وذلك باطل لأنه يلزم عليه اجتماع مؤثرين على أثر واحد أو بإرادة أحدهما وذلك باطل أيضا، لأنه يلزم عليه عجز الاخر، ويلزم عجز الأول أيضا لوجود المماثلة بيتهما. وعلى الأول فيكون تقريره لو اختلفا أحدهما إيجاد شيء والأخر إعدامه، فإما أن يتم مرادهما، وهو باطل للزوم اجتماع الضدين، او لا يتم مرادهما معا وهو باطل أيضا للزوم عجزهما معا او يتم مراد أحدهما دون الاخر وهو باطل أيضا للزوم عجز من لم يتم مراده، وعجز من تم مراده أيضا لوجود المماثلة بينهما فبطل التعدد، وثبت الوحدانية.[9]

المبحث الثاني: الاتجاه العقلي في الاستدلال على وجود الله

من الأدلة العقلية التي اعتمدها الغزالي في الرد على الفلاسفة وابطال دعاويهم دليلان دليل الحدوث والامكان وإليك النقاط التي طرقتها في هذين المطلبين .

المطلب الأول: دليل الحدوث

وهو كما قال الشريف الجرجاني: وهو عبارة عن وجود الشيء بعد عدمه.[10]، وليس المراد بالحدوث أن يوجد الشيء في ظرف الزمان، فالزمان ليس جزءا من مفهوم الحدوث، وإن كان الزمان مصاحبا لوجود هذا العالم، فالمعتبر في الحدوث هو مسبوقية الوجود بعدم نفسه، وليس مسبوقيته بالزمان. وقال صفي الدين الهندي في رسالته: وفسر المحدث بما يكون مسبوقا بالغير أو بالعدم والأول أعم من الثاني نظرا إلى اللفظ لأن الخير أعم من الغير الوجودي أو العدمي لكن مرادهم منه أولهما.[11]، وبمعنى أن التقدم هنا هو التقدم بالوجود وهو أن يكون للمتقدم وجود وليس للمتأخر معه وجود مع عدم الزمان، كتقدم أجزاء الزمان على البعض، فإنه لا يجوز أن يكون ذلك بالزمان، وإلا لزم أن يكون الزمان زمانيا، ولزم التسلسل فلم لا يجوز

[9] – شرح الصاوي على جوهرة التوحيد لمحمد المالكي الصاوي دار ابن كثير بيروت الطبعة الثانية سنة 1419هـ ص 159 160

[10] – التعريفات للجرجاني ص113

[11] – الرسالة التسعينية في الأصول الدينية لصفي الدين الهندي ص 71

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

أن يكون مثل هذا التقدم ثابتا لله تعالى على وجود العالم، هو المعتبر في قوله عليه الصلاة والسلام **{كان الله ولم يكن معه شيء}**[12].

غير أن هذا الدليل الذي يتخذه الغزالي خاصة، والمتكلمون عامة ويقررون فيه بأنه إذا ثبت حدوث العالم إلى محدث، فمنهم من يدعي العلم بافتقاره في وجوده إلى المحدث بالضرورة، ومنهم من يقرره بوسط والحاصل فيه أن يقال أن العالم إذا حدث في الوقت المعين والعقل لا يمنع صحة تقدمه على الوقت الذي وجد فيه بأوقات أو تأخره عنه بساعات فاختصاصه بالوجود في ذلك الوقت بدلا عن العدم المجوز يفتقر إلى مخصص بالضرورة وهذه طريقة من يشوب الحدوث بالإمكان وعليها عول الإمام، وهذه الطريقة وإن تعرض فيها للإمكان إلا أنها مباينة لطريق الاستدلال بمجرد الإمكان على العلم بوجود الصانع، لأن في هذه الطريقة العلم بحدوث العالم يتقدم على العلم بإثبات الصانع.[13]، وهناك مسلك آخر يستدل به الفلاسفة كما يستدل به المتكلمون على وجود الله وهو دليل الإمكان. ويقال فيه مثلا، أن العالم مركب، لأن له علة وما كان له علة فهو ممكن الوجود وطريقة الإمكان المجرد العلم فيها بحدوث العالم يتأخر على العلم بإثبات الصانع.[14] وبناء عليه يتقرر أن العالم على فهم دليل الفلاسفة الذين يبنون أدلتهم على العلية كونه معلولا لعلة وحتى لا يترتب عليه التسلسل في العلل لابد من البحث على العلة الأولى للموجودات، بينما المتكلمون فيبنون دليلهم على الحدوث. وهذا ما يرفضه الفلاسفة لمخالفة مبادئهم العقلية التي ينطلقون منها.

المطلب الثاني: دليل الإمكان

يعتبر دليل افتقار العالم وإمكانه واحتياجه من حيث وجوده إلى موجد غيره قائم بذاته، واجب الوجود أحد أهم الأدلة على إثبات وجود الله. وأصل هذا الدليل ينطلق من ملاحظة وجود بعض الموجودات، تم تحليلها بطرق مختلفة، تستلزم وجود علة للموجودات لهذا العالم، إما باعتبار الحركة وأنها لابد من رجوعها إلى محرك واجب لذاته، أو لكونها ممكنة في ذاتها لتركيبها، أو لأن وجودها غير ماهيتها.[15]وغير ذلك من الطرق التي يتوصل بها إلى إثبات واجب الوجود لذاته، والذي هو الموجد لهذه الموجودات.

- **تعريف الغزالي الواجب والممكن**

الواجب الوجود هو الذي متى فرض معدوماً غير موجود لزم منه محال وهذا ينقسم إلى قسمين لذاته ولغيره:

---

[12] – الرسالة التسعينية في الأصول الدينية للأرموي ص 72- 73.

[13] – شرح معالم أصول الدين لابن التلمساني بتحقيق نزار حمادي الطبعة 1431 دار الفتح، ص: 192.

[14] نفس المرجع السابق ص192

[15] الأدلة العقلية على وجود الله بين المتكلمين وفلاسفة لسعيد فودة ص 149

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

الأول: منهما لذاته هو الذي فرض علمه محال لذاته لا بفرض شيء أخر صار به محالا فرض عدمه وبهذا الاعتبار يكون واجب الوجود ضروري وجوده لوجود مهما فرضنا المشيئة الأزلية متعلّقة بوجوده ولكن صار الوجوب له من المشيئة لا من ذاته. ولوكات العامة ذاته لمن غيره.[16]

إن الممكن الوجود بالمعنى الخاص عنده به سلب الضرورة في الوجود والعدم جميعا وهو الذي لا استحالة في وجوده ولا في عدمه وبهذا الاعتبار فيكون ممتنع وجوده أي ضروري عدمه، وواجب وجوده أي ضروري وجوده وشيء لا ضروري في وجوده ولا في عدمه. بل نسبته إليهما وهو المراد بالممكن.[17]

وهذا التعريف للغزالي للوجب والممكن هو قريب من تعريف ابن سينا وعلى هذا الأساس يوجد تقريب بين المذهب الكلامي والفلسفي لماهية الوجود والممكن.

المبحث الثالث: الاستدلال القياسي وموازينه العقلية

الموازين التي استخرجها من القرءان الكريم هي نفسها الأنواع من القياس المنطقي وبهذا جعل أنواعها ثلاثة ميزان التعادل، والتلازم، والتعاند، والتعادل له ثلاثة أنواع فرعية الأكبر، والأوسط، والأصغر كما سيأتي بيانها بالتفصيل.

المطلب الأول: التمسك بالعموم

أو ما يسميه الغزالي بالتعادل وهو منظوم في أشكال ثلاثة: ومرجعه **الشكل الأول** من القياس الاقتراني الحملي وهو ما كان فيه الحد الأوسط العلة محمولا في إحدى المقدمتين موضوعا في الأخرى مثل قولنا كل جسم مؤلف وكل مؤلف حادث فيلزم منه أن كل جسم حادث. فمهما حكم على الجسم بالمؤلف فكل حكم ثبت للمؤلف حقه ثبت لامحالة للجسم فإن الجسم داخل في المؤلف، وإذا ثبت الحكم بالحدوث على المؤلف فقد ثبت بالضرورة على الجسم.[18]

واحتيج إلى هذا من حيث إن الحكم بالحدوث على الجسم قد لا يكون بينا بنفسه ولكن يكون الحكم به على المؤلف بينا بنفسه والحكم بالمؤلف على الجسم أيضا بينا بنفسه فيتعدى الحكم الذي الحكم الذي ليس بينا

[16] معيار العلم للغزالي ص 181
[17] نفس المرجع السابق ص181
[18] أساس القياس للغزالي ص 27 وانظر معه محك النظر ص 91 ومعيار العلم ص 63

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

للجسم الذي وسطه المؤلف الذي هو بدله فيكون الوسط بين انتظار الطرفين ويتعدى الحكم إلى المحكوم عليه.[19]

المطلب الثاني: ما يسميه الفقهاء فرقا

ولا يصلح ذلك إلا لإبطال دعوى الجمع على المناظر، أو لإبطال توهم الاجتماع في ذهن المناظر وهو الشكل الثاني من القياس الاقتراني وهو أن تكون العلة حكما في المقدمتين.[20]

مثاله في العقليات: أن يدعي أن نفس الإنسان الجوهر العارف بالله جسم، فتقول كل جسم مقسم، والجوهر العارف لا ينقسم فهو إذن ليس بجسم، وإذا سلم الأصلان أيضا لزم تسليم النتيجة بالضرورة. أحد الأصلين قولنا كل جسم منقسم، والثاني: الجوهر العارف من الانسان لا ينقسم وهذا ليس بجلي فلا جرم توضيحه بالطريق الأول الذي هو تمسك بالعموم وهو أن كل ما يستحيل وجود المتضادين فيه فهو واحد، والفارق من الإنسان يستحيل عليه المتضادين فهو إذن واحد، ونعني بالمتضاد العلم والجهل بشيء واحد في حالة واحدة، فإنه لا يستحيل وجودهما في محلين، وإنما يستحيل في محل واحد، فإن لم يكن الجوهر العارف من الإنسان واحدا بحيث لا ينقسم فلم يستحيل أن يوجد العلم بالله في أحد جزأيه والجهل به في الجزء الثاني؟ فيكون في حالة واحدة عالما بالشيء الواحد جاهلا به [21].

المطلب الثالث: النقض

ويصلح لإبطال الدعوى العامة فقط، ولا يصح لإثبات حكم عام، وهو الشكل الثالث من القياس الاقتراني، وهو أن تكون العلة مبتدأ في المقدمتين جميعا، وهذا يوجب نتيجة جزئية، فإنك مهما وجدت شيئا واحدا ثم وجدت شيئين كليهما يحملان على ذلك الشيء الواحد، بين المحمولين اتصال والتقاء لامحالة.[22]

ومثاله: أيضا في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ سورة الانعام الآية 91.

[19] محك النظر 94
[20] أساس القياس ص 28
[21] نفس المرجع السابق ص 28
[22] معيار العلم ص أساس القياس للغزالي ص 29

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

ووجهه أنهم ادعوا أن الله ما أنزل الله على بشر من شيء، وهذه دعوى عامة ثم كانوا قد سلموا أن موسى بشر، وأن موسى منزل عليه الكتاب، فانتقض به دعواهم وثبت أن بعض البشر أنزل عليه الكتاب. فإنه مهما بطل قولنا ما أنزل الله على بشر من شيء. صح قولنا بعض البشر أنزل الله عليه شيئا. فإن المتناقضين إذا بطل أحدهما صح الاخر لامحالة.

وهذا باطل لازدواج المنتج من الأصلين أحدهما أن موسى عليه السلام بشر والثاني أن موسى انزل عليه الكتاب فيلزم منه بالضرورة قضية خاصة، وهو أن بعض البشر أنزل عليه الكتاب، وتبطل الدعوى العامة بأنه لا ينزل كتاب على بشر أصلا.[23]

وحاصل هذه الدلالة يرجع أن كل شيئين وجد مجتمعين في شيء واحد فلا مباينة بينهما بالكلية، فاللونية والعرضية يجتمعان في السواد، فلا جرم لا يصح أن تدعي المباينة بينهما مطلقا، فيقال كل لون ليس بعرض أو كل عرض ليس بلون، كما أن البشرية وإنزال الكتاب هما شيئان اجتمعا في موسى وهو شيء ثالث، فاستحال دعوى المباينة العامة بينهما بأن الكتاب لا ينزل على بشر أصلا.[24]

المطلب الرابع: القياس الشرطي المتصل

ما يسميه الفقهاء بقياس الدلالة هو أن تكون فيه مقدمتان الأولى تشتمل على قضيتين، والثانية تشتمل على ذكر إحدى تينك المقدمتين الأوليين تسليما إما بالنفي أو الاثبات. مثاله إن كان العالم حادثا فله محدث، ومعلوم أنه حادث فتلزم منه النتيجة أن له محدثا بالضرورة. وحاصله يرجع إلى الاستدلال ثبوت الأخص على ثبوت الأعم، والاستدلال بانتفاء الأعم على انتفاء الأخص، وهما دليلان منتجان.[25]

والفرق بين هذا القياس الشرطي والقياس الاقتراني أن الأول ترتيبه خبر عن شيء، ثم حكم على الخبر بشيء، فيلزم منه نتيجة، وهو الالتقاء بين المبتدأ الأول والخبر الأخير، وكل واحد من الأجزاء الثلاثة يصلح أن يجعل وصفا وخبرا وحكما للآخر في نظم هذا الكلام.[26]

---

[23] القسطاس المستقيم ص 32

[24] أساس القياس للغزالي ص 30

[25] القسطاس المستقيم ص 32 أساس القياس للغزالي ص 30

[26] محك النظر للغزالي ص 105 106

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

والعلاقة بين اللازم والملزوم هو ألا يكون الملزوم أعم من اللازم ومتى ثبت الأخص فيلزم منه ثبوت الأعم أما ثبوت الأعم فلا يوجب ثبوت الأخص وبانتفاء الأخص لا يلزم انتفاء الاعم.[27]

المطلب الخامس: السبر والتقسيم

ذلك بأن ينحصر شيء في جهتين ثم يبطل أحدهما فتثبت الاخر وهذا ما يسميه المناطقة بالشرطي المنفصل ومثاله: العالم إما قديم وإما حادث، فهذه مقدمة، والثانية أن تسلم إحدى القضيتين أو نقيضهما، فيلزم منه نتيجة فنقول ومعلوم أنه حادث، وهو أكثر أدلة البطلان ولا يحتاج في هذا إلى المثال، لوضوحه وشهرته.[28]

ولابد في السبر والتقسيم عند أصحاب العلوم العقلية الذين يشترطون في النتيجة اللزوم العقلي من أمرين:

أن يكون الحصر والتقسيم عقليا.

أن يكون إبطال أحدهما إما بديهيا كما في المثال، وإما نظريا مستندا للأدلة العقلية والحصر والتقسيم العقلي ما يجزم العقل فيه بانحصار المقسم في أقسامه بمجرد النظر في القسمة والأصل في التقسيم العقلي أن يؤتى به على طريق الترديد بين النفي والإثبات، وهذا الترديد قد يكون صريحا، كما في قولنا الممكن إما جوهر وإما لا، وقد يكون غير صريح، بل بملاحظ في المعنى كقوله العدد إما زوج، وإما فرد، وصورته عند أصحاب العلوم العقلية ما ذكره الإمام الغزالي والتي هي القياس الاستثنائي المركب من الشرطية المنفصلة الحقيقية وقضية استثنائية هي وضع لأحد طرفيها أو رفعه.[29]

المبحث الثالث: الاتجاه الفطري والصوفي في الاستدلال على وجود الله

ان الغزالي لم يقصر نظره في الاستدلال على وجود الله على النظر العقلي المجرد بل صرف نظره الى الميل الفطري للإنسان، واعتماده على التجربة الصوفية من جهة أخرى وعليه فيتناول هذا المبحث الاتجاهات الصوفية والفطرية وبيان قيمتهما في الاستدلال بهما على وجود الله.

المطلب الأول: دليل الفطرة

يعتبر دليل الفطرة من الأدلة التي يسوقونها للاستدلال على وجود الله، حيث هي حقيقة مركوزه في الانسان فلا يحتاج معها لإقامة البراهين والأقيسة الدالة ولهذا يقول الغزالي فكل قلب فهو صالح لمعرفة

---

[27] المصدر نفسه ص 106 107

[28] محك النظر للغزالي ص 108

[29] السداد في الارشاد الى الاقتصاد في علم الاعتقاد للدكتور مصطفى عبد الجواد عمران انظره ضمن كتاب الاقتصاد في الاعتقاد للإمام الغزالي دار البصائر الطبعة الأولى سنة 2009 ص 99 100

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

الحقائق لأنه أمر رباني شريف فارق سائر الجواهر بهذه الخاصية والشرف وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا**﴾ **سورة الأحزاب الآية 72**. وبهذا صار مطيقا لحمل امانة الله تعالى وتلك هي المعرفة والتوحيد.[30]

ثم يبين الغزالي بان الانسان باعتبار الأصل وما يعرض له من مثبطات الزمان التي تمنعه من الوصول إلى الحقيقة التي كلف بها ولهذا يقول وقلب كل ادمي مستعد لحمل، ولكن يثبطه عن النهوض بأعيانها، والوصول إلى تحقيقها الأسباب التي ذكرناها ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمصرانه أو يمجسانه.[31] فكل مولود يولد على معتدلا صحيحا على الفطرة، وإنما يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه أي لاعتياد تكتسب الرذائل وكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملا، وإنما يكمل ويخلق ويقوى بالنشوء والتربية فكذلك تخلق ناقصة قابلة للكمال وإنما تكمل بالتزكية.[32]

وعلى هذا الأساس فالفطرة هو تكلم الشعور الوجداني الذي ينتاب الإنسان من تلقاء نفسه وانجذابه نحو الحق بسبب الغريزة الفطرية التي نشأ عليها دون أن يكون له تأثير بالبرهان أو نتيجة تعليم أو تقليد في الأعيان، وهذا ما يوضحه الغزالي في تأهب نفسه وتهيؤها لقبول الحق بقوله: وقد كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبي وديدني من أول أمري وريعان عمري غريزة وفطرة وضعتا في جبلتي، لا اختياري وحيلتي حتى انحلت عني رابطة التقليد وانكسرت على العقائد الموروثة على قرب عهد سن الصبا. ثم يقول فتحرك باطني إلى طلب حقيقة الفطرة الاصلية، وحقيقة العقائد العارضة بتقليد الوالدين والاستاذين والتمييز بين هذه التقليدات وأوائلها تلقينات وفي تمييز الحق منها من الباطل اختلافات.[33]

---

[30] إحياء علوم الدين للغزالي ج 3 ص 29

[31] نفس المرجع السابق 29

وهدا الحديث اخرجه أخرجه ابن حبان في صحيحه ج 5 ص 40 رقم الحديث 128

وصحيح البخاري كتاب الجنائز باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام؟ رقم الحديث 1358وصحيح مسلم رقم الحديث 2658 وقال الخطابي المراد بالفطرة الدين او الملة ويحتمل ان يراد بها هنا السنة كما جاء خمس من الفطرة والتعريف في قوله على الفطرة إشارة الى معهود وهو قوله فطرة الله شرح فتح الباري من كتاب الاذان ص 316 و356

[32] احياء علوم الدين للغزالي ص 105

[33] المنقذ من الضلال للغزالي ص 9

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

المطلب الثاني: الكشف والالهام

يعد الكشف والإلهام مصدران من مصادر المعرفة اليقينية من خلال النور الذي هو مفتاح أكثر المعارف، فمن ظن أن الكشف موقوف على الأدلة المحررة قد ضيق رحمة الله تعالى الواسعة مستدلا بقول النبي صلى الله عليه وسلم، أنه لما سئل عن الشرع ومعناه في قوله تعالى: ﴿**أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾ الزمر، الآية 22.

قال هو نور يقذفه الله في القلب، فقيل وما علامته، قال هو التجافي عن دار. الغرور والانابة عن دار الخلود، وهذا النور يطلب الكشف، وذلك النور الذي ينبجس من الجود الإلهي في بعض الأحايين ويجب الترصد له.[34]

ويصور هذا المعنى دنيا بقوله إلى أن حقائق المعلومات كالمرأة بالإضافة إلى صور المتلونات فكما أن المتلون صورة، ومثال تلك الصورة تنطبع في مرآة ويحصل بها كذلك لكل معلوم حقيقة، ولتلك الحقيقة صورة، انطبع في مرآة القلب وتضح به. [35]

ويبدو أن استدلال الغزالي بالاتجاه الصوفي في الكشف عن المعرفة اليقينية التي لا تشوبها الأغيار، واعتبرها هي طريق المطلب الذي ليس بعده طلب.

واعلم أن طريق التعلم عند الغزالي ينقسم إلى قسمين: التعلم الإنساني والتعلم الرباني، أما العلم الأول فطريق معهود ومسلك محسوس يقر به جميع العقلاء، والتعليم الرباني يكون من وجهين: الأول التعلم من الداخل، والتعلم من الخارج كالنظر والتفكر. [36]

وقدم الغزالي على أساس نظر فلسفي ويتجلى في رسالة مشكاة وهو يستدل بقوله تعالى ﴿**مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ**﴾ سوره النور الآية 35

والمقصود بهذا الاستدلال لهذه الآية تمثيل النور في القلب، والقلب في الصدر، والصدر في البدن، كالمصباح والمصباح في الزجاجة والزجاجة في القنديل ويستطرد في تعليله لهذا الامر فيقول لأن نور المعرفة له لأت يتوقف هو على اجتماعها، كالذهن والفهم والعقل، واليقظة، وغيرها من الصفات الحميدة.[37]

---

[34] المنقذ من الضلال ص 36

[35] الحقيقة في نظر الغزالي للدكتور سليمان دنيا ص 29

[36] مجموعة رسائل الغزالي ص 247

[37] مشكاة الانوار ومصفاة الاسرار للغزالي ص 51

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

والغزالي لم يدرك المعرفة اليقينية بالمنهج الكلامي، أو النظر الفلسفي، أو البرهان المنطقي، بل بنور الله حيث به تتجلى له المعارف، ويكشف له المستور من النور وكأنه يرشدك بلسان الحال، إن لم يكن لك من الله هداية فمالك بعدها من هاد.

والكشف عنده بمعنى الإلهام، وهو حصول المعرفة بغير سبب ولاكتساب، بل بإلهام من الله تعالى بعد طهارة القلب عن استحسان ما في الكونين.[38]

ومن هنا ندرك أن المعرفة المبنية على الكشف والالهام، تحصل بمجرد إيقاع نور الله عليها دون اعتماد أية دلائل وعلامات، بل لها اتصال مباشر بين النفس، والعالم الإلهي، وهذه هي الطريقة الحقيقة الموصلة إلى اليقين.

واعتبر الغزالي أن الإلهام أحد المصادر المعرفية التي لا تخضع لمنطق الحس والاستدلال العقلي، بل هو من قبيل المعرفة القلبية التي تجرى مجرى اليقين ولها أحوال فقال: لم أن أرباب القلوب يكاشفون بأسرار الملكوت تارة على سبيل الإلهام بأن يخطر لهم على سبيل الورود عليهم من حيث لا يعلمون، وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة، وتارة في اليقظة على سبيل كشف المعاني بمشاهدة الأمثلة، كما يكون في المنام، وهذا أعلى الدرجات وهي من درجات النبوّة العالية.[39]

خاتمة:

إذا كان المنهج الكلامي قام أساسا لنصرة قضية العقيدة الإسلامية وما يشوبها من الأقاويل الجدلية من ذوي الاتجاهات العقلانية، والفلسفية، فقد جاء هذا الغزالي لسوق الأدلة والبراهين الدامغة التي تدافع عن قضية وجود الله وكيفية تصديه للشبهات المثارة في زمانه ويعد الإمام الغزالي أحد الأعلام الذين كانوا يلعبون دورا رساليا في نصرة الدين من انحرافات الزائغين وانتحال المبطلين. ومن خلال هذا العرض يمكننا التعرف على منهجه الاستدلالي.

أولا: لاحظنا أن الإمام الغزالي رغم تأثره بالمنهج المنطقي الأرسطي إلا أنه ظل وفيا للمنهج الكلامي في الدفاع عن المنهج الاشعري السني. ولهذا نجده يعزز استدلالاته العقلية، والمنطقية، بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية.

[38] مجموعة رسائل الغزالي ص 122

[39] احياء علوم الدين للغزالي كتاب العلم الطبعة الأولى 2005 دار ابن حزم ص 97

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

ثانيا: اعتماد الامام الغزالي على بعض الأدلة والبراهين، مثل دليل الحدوث، والإمكان وغيرها من القواعد الجدلية تقريبا كلها مستقاة على منهج المتكلمين ممن تقدموه. أما ما أورده من دلائل المنطقية تبدوا أنها جديدة في الاستدلال فهذا نتيجة تأثره بالمنطق الارسطي.

ثالثا: ملاحظة أن الإمام من خلال ما يعرضه من قضايا عقدية وما يقيمه من الدلائل، والبراهين، على القضية تبدوا أكثر سلاسة، وبساطة، على مستوى التصديق والاقناع.

توصيات

- ✓ تعزيز دليل الفطرة بما يشهد له كمن الاختراعات البشرية والأبحاث في العلوم الاجتماعية، والنفسية لاستكشاف مدى حضور القضية من العامة في الواقع المشهود.
- ✓ الاعتماد على منهج التكامل المعرفي بين العلوم في تعزيز نصره القضايا العقدية من أجل إعلاء كلمة الله.
- ✓ قيام علماء البشرية في القيام بدورهم الرسالي في إحياء مناهج المتقدمين في التراث الإسلامي والاعتماد عليها في رد شبه الضالين، والمعتدين على منهج رب العالمين. وتفعليها في تطوير المعرفة الاسلامية تعد هذه الطريقة في الاستدلال أحد رموز التجديد في الفكر الإسلامي.

المصادر والمراجع

- حكمة في مخلوقات الله للغزالي تحقيق محمد رشيد قباني دار احياء العلوم بيروت الطبعة الأولى 1398ه 1978م
- الأدلة العقلية على وجود الله لسعيد فودة، الطبعة الأولى 2016م 1437ه منشورات الاصلين
- الجام العوام عن علم الكلام للغزالي دار المنهاج، الطبعة الأولى 1439ه 2017م
- التعريفات للجرجاني حققه إبراهيم الابياري دار الريان التراث
- الرسالة التسعينية في الأصول الدينية لصفي الدين الهندي تحقيق احمد عبد الناصر الشافعي المليبياري دار البصائر الطبعة الأولى 1430 ه 2009م
- شرح معالم أصول الدين لابن التلمساني بتحقيق نزار حمادي دار الفتح الطبعة 1431.
- معيار العلم للغزالي، المكتبة العصرية بيروت الطبعة الأولى سنة 1433ه 2012م

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

- موسوعة الفلسفة الإسلامية تأليف مجموعة من الأكاديميين، الطبعة سنة 2016 مكتبة مومن قريش.
- الرد على المنطقيين لابن تيمية حققه عبد الصمد شرف الدين الكتبي، مؤسسة الريان الطبعة الأولى سنة 2005م
- مناهج البحث العلمي لسامي النشار دار النهضة بيروت الطبعة الثالثة 1984م 1404ه
- اللمع للأشعري علق عليه حمودة غرابة مطبعة مصير 1955.
- أساس القياس لابي حامد الغزالي حققه وعليه فهد بن محمد السدحان مكتبة العبيكان، طبعة 1413.
- المقدمة لابن خلدون، حقق نصوصه عبد الله محمد درويش، دار يعرب دمشق ط 2 سنة 2004م .1425
- ابكار الأقمار للامدي تحقيق احمد محمد المهدي الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية. الطبة الثانية 2002 مخم 1423ه
- البحر المحيط للزركشي راجعه سليمان الأشقر دار الصفوة. الطبعة الثانية سنة 1992 م 1413ه.
- المستصفى للغزالي تحقيق حمزة ابن زهير حافظ سنة .1413
- المنطق والموازين القرآنية لمحمد مهران شر المعهد العالمي للفكر الإسلامي الطبعة سنة 1996 م ن.
- محك النظر للإمام الغزالي الطبعة الأولى 1437 ه 2016م دار المنهاج.
- القسطاس المستقيم للأمام الغزالي علق عليه محمد بيجو الطبعة سنة 1993م1434ه المطبعة العلمية دمشق.
- التمثيل والتغليط في الجدال الفكري ابن رشد انموذجا لفؤاد ابن إسلامية المعرفة السنة الخامسة العاشرة العدد 59 السنة 2010
- دار البصائر للإمام الغزالي الطبعة الأولى سنة 2009
- الحقيقة في نظر الغزالي للدكتور سليمان دنيا الطبعة الرابعة دار المعارف.
- مجموعة رسائل الغزالي راجعه إبراهيم امين محمد المكتبة التوفيقية.

- مشكاة الانوار ومصفاة الاسرار للغزال حققه الشيخ عبد العزيز السيروان عالم الكتب. الطبعة 1986م 1407هـ
- إحياء علوم الدين للغزالي دار ابن حزم كتاب العلم الطبعة الأولى 2005.

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013